# الهوية الرقمية "مأزق الاستخدام والخصوصية"

# *Digital Identity "The Dilemma Of Use And Privacy"*

د. مسعودة طلحة• .جامعة بسكرة - الجزائر، m.talha@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2019/05/26 تاريخ القبول: 2019/09/21 تاريخ النشر: 2020/08/25


## الملخص:

أدى التواجد في العالم الافتراضي عبر الهوية الرقمية إلى تأثيرات مختلفة على عادات وأنماط تفاعل المستخدم و تواصله في البيئة الرقمية. إذ يقدم هذا الحضور فرصًا ومخاطرًا على المستويات النفسية والاجتماعية والتقنية أيضًا ، مما قد يجعل الهوية الرقمية عرضة لأنواع مختلفة من جرائم الخصوصية.

حاولت هذه الورقة البحثية الاقتراب من التأثيرات التي أوجدتها الهوية الرقمية للمستخدم على أنماط وعادات تفاعله وتواصله في البيئة الرقمية، وكيف يدفع انتهاك الخصوصية تواجده الرقمي لعدم الاستقرار في هذه البيئة، وتوصلت في النهاية إلى نتيجة مفادها أنه وعلى الرغم من كافة المخاطر الكامنة في البيئة الرقمية ، إلا أن الفرص التي توفرها الرقمنة ستتمخض عن مفهوم جديد للهوية أكثر مرونة، وما عاد يجب إعلان الحروب على التقنية والتفكير في مواجهاتها، التي تعني في هذه الحالة- الهوية الرقمية- مواجهة الذات، بقدر ما يتوجب استغلال إمكاناتها للتكيف وتكوين أنماط للتعايش والصمود في البيئة الرقمية تماما كما الحقيقية.


**الكلمات المفتاحية:** الهوية الرقمية، الخصوصية، البيئة الرقمية.


## *Abstract :*

*The presence in the virtual world via digital identity has resulted in different effects on the manners and habits of user interaction and communication in the digital environment. This presence presents opportunities and risks at the psychological, social and technical levels as well, which may make digital identity vulnerable to various types of privacy offenses.*

*This paper attempts to get closer to the effects of the digital identity of the user on the patterns and habits of his interaction and communication in the digital environment, and how the violation of privacy caused his digital presence of instability in this environment ?. and finally reached the conclusion that despite all the risks inherent in the digital environment, However, the opportunities offered by digitization will produce a new concept of more flexible identity, and We shouldn't declare war on technology and think about its confrontations, which in this case means - digital identity - the face of the self, insofar as its potential to adapt and create patterns of coexistence and resilience in the digital environment must be exploited just as real.*


***Keywords*** *: digital identity , privacy, digital environment.*

• **المؤلف المرسل:** مسعودة طلحة، **الإيميل:** m.talha@univ-biskra.dz

## مقدمة:

تتأسس ذاتية الاتصال الرقمي التفاعلي في البيئة الاجتماعية من ثلاثة جذور سوسيواجتماعية هي: الواقع الشبكي، المحادثة الافتراضية، وبناء الهوية. هاته الأخيرة التي تكتسب طابع الرقمية من بيئة اشتغالها، "إذ تمثل في معناها »مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي، فيتفاعل ويتواصل على أساسها مع الآخرين بحيث قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي.« وتشرف الذات الافتراضية بصفة إرادية على تنشئة نفسها من خلال التنقل عبر الفضاءات الرقمية التي تكون مجالا لعرض واستدخال وتبادل قيم ومعان ودلالات متنوعة، نتاج أنساق ثقافية متباينة، الأمر الذي يجعل الهوية الافتراضية عرضة لرهانات زمكانية وعمليات تفاوض آنية، قد تدعم مدلولاتها الأصلية، أو تقوضها، أو أن تعطيها دلالات مغايرة بحسب قدرة الذات على دعم الأطر والعناصر الأساسية المشكلة لهويتها المحلية، وقدرتها على الانفلات من آليات الهيمنة التي تكون عرضة لها في الفضاء الافتراضي (بيمون، 2016). وإذا ما أضفنا أن هذه الهوية تماما كما في الحقيقة في حاجة إلى سبل حماية وحصانة وآليات للبقاء وفعالية وأداء في "الحياة الأخرى" أو ما يصطلح عليه الحياة الثانية *Second Life*. ومنه فإن هذه الورقة العلمية تسعى بمنهجية وصفية تحليلية إلى البحث في دوافع وخصوصية التواجد الهوياتي في البيئة الرقمية والفرص والمخاطر الكامنة ورائه. إضافة إلى ما تواجهه من تحديات نفسية واجتماعية وتقنية، خاصة ما تعلق منها بالتحول في الممارسات الفردية أو العلائقية .

## الإشكالية:

أفضت ظاهرة الإعلام الجديد إلى تشكل الفضاء الرقمي والمجتمعات الرقمية، إذ تتسم هذه المجتمعات بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدية، ونشوء ما يسمى بالهوية الافتراضية أو الرقمية.

تقول عالمة الاجتماع، **سارة مونكيبيرج**،"في عصور ما قبل الرقمنة كانت الهوية صفة داخلية وخصوصية في المقام الأول فكان المرء يؤدي دورًا ما في الحياة العامة، ثم يعود في حيزه الخاص

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد01 (2020) * ص133-154

ليعيش من خلال "الأنا الواقعية"، وتلك "الأنا" على وجه التحديد، قد أصبحت الآن علنية". وهي بالتأكيد الهوية الرقمية (لوبر، 2015).

فقد أثر تزايد توظيف واستخدام تقنيات الاتصال والمعلومات كوسيلة أساسية للتواصل والتفاعل في البيئة الرقمية على المبحرين في شبكة الأنترنت من المستخدمين، خاصة مع تحررهم من ثقل الحاسوب واحتفالهم بخفة الجهاز الذكي (النقال، اللوحة). وسواء كانت استخداماتهم شخصية أو مهنية، فقد تضاعف تواجدهم في هذه البيئة، وأدى إلى العديد من التأثيرات على هوياتهم، فمن جهة أشكال استخدماهم وأنماط تمظهرهم، ومن جهة أخرى تأثير ما تحمله هذه البيئة وهذه التقنية من تبعات على خصوصيات هذه الهويات .

فأمام الاستقلال من قيود الزمان والمكان توجد العزلة، وأمام الحرية من الضوابط والقيم الاجتماعية والثقافية يوجد الصراع النفسي بين الهوية الأصلية والهوية الرقمية، وبين هذا وذاك فإن تكوين الهوية الرقمية يخضع للوائح المانح على الشبكة، وهنا يجد المستخدم نفسه مرة أخرى في مواجهة شبح انتهاك الخصوصية والسرقة والانتحال.

ومما سبق يبدو أن حلم تكوين هوية كاملة ومتحررة من أصناف القيود الاجتماعية والثقافية والقانونية وحتى التقنية التي يعج بها الواقع الحقيقي، يصبح صعب المنال، ويزداد الأمر تعقيدا خاصة مع انحسار الفرق بين الهوية الشخصية للفرد في العالم الحقيقي *Offline Identity* وبين الهوية الرقمية *Online Identity*. تحاول هذه الورقة البحثية معالجة الإشكال الآتي:

ماهي التأثيرات التي أوجدتها الهوية الرقمية للمستخدم على أنماط وعادات تفاعله وتواصله في البيئة الرقمية، وكيف يدفع انتهاك الخصوصية تواجده الرقمي لعدم الاستقرار في هذه البيئة؟

ونفصل هذا الإشكال في التساؤلات الموالية:

_ماهي الفرص والمخاطر الكامنة في البيئة الرقمية أمام التواجد بالهوية الرقمية؟

_إلى أي مدى قد تتضرر الهوية الرقمية وحتى الواقعية بمشكل انتهاك الخصوصية؟

_هل يستدعي التواجد الهوياتي في البيئة الرقمية سبل مواجهة أم فقط التحكم في إمكانيات للتكيف؟

# أولا: تحديد المفاهيم

## 1.تعريف الهوية الرقمية:

ـ **الهوية**: يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أخذت حيزا كبيرا من تفكير الباحثين، ومصطلح الهوية له دلالاته اللغوية والفلسفية والاجتماعية.

ورد في المعجم الوسيط أن هوية " هي حقيقة الشئ أو الشخص التي تميزه عن غيره" وفي قاموس *Oxford Dictionary* هي "الخصائص التي تحدد من أو ما هو الشخص أو الشيء". وفي مجمع اللغة العربية تسمى أيضاً وحدة الذات" (متولي، 2011)، والهوية في اللغة العربية مصدر صناعي مركب من ضمير الغائب "هو" المعرف بأداة التعريف " أل" ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة وعلامة التأنيث وهي تأتي بمعنى ذات الشيء، وعند الفارابي هوية الشيء عينه وشخصه وخصوصية وجوده المتفرد الذي لا يقع عليه إشراك (عيد، 2002).

ـ **الهوية الرقمية (الافتراضية ) :**عندما تتم "محاكاة" الهوية داخل نظام رقمي (أو حاسوبي) فإنها تسمى "هوية رقمية" (الروضان، 2014)، أما الهوية الافتراضية فهي وليدة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي أو بالأحرى انضمام الفرد إلى المجتمع الافتراضي المتواجد في الفضاء السيبيري، والذي يفرض عليه أن يقدم بيانات هوية يتواصل بها مع الآخرين ويتفاعل بها مع مختلف الجنسيات والأعراق والديانات (بلوطي، 2014-2015)،... ومع انتشار الأنترنت وظهور المجتمعات الافتراضية برزت مشكلات تقمص الشخصيات الافتراضية من حيث السن والأنوثة والذكورة والدور الاجتماعي (رحومة، 2008).

وتعرف موسوعة الويب *webopedia* الهوية الافتراضية *Virtual identity* بأنها الشخصية التي يتم إنشاؤها من طرف المستخدم (الانسان) الذي يعمل كصلة وصل بين الشخص الطبيعي والشخص الظاهري للمستخدمين (لوبر، 2015) . وحسب هذا التعريف فإن الهوية الافتراضية هي السمات والمواصفات التي يقدمها الفرد الطبيعي للآخرين عبر الانترنت، فتتم عملية الاتصال بين ثلاثة أطراف وليس طرفين وهي : الشخص العادي والهوية الافتراضية والأشخاص الآخرين.

ومنه نستخلص أنها مجموع الصفات والرموز والبيانات التي يستخدمها الأفراد في تقديم أنفسهم للآخرين في المجتمعات الافتراضية ويتفاعلون معهم من خلالها (بايوسف، 2011).

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد 01 (2020) * ص133-154

كما يدخل في إطار هذه الورقة العلمية كلا المعنيين فالافتراضية رقمية حتما واستخدامهما ينطوي على فرص ومخاطر يفرضها التواجد في الفضاء الافتراضي.

## 2.تعريف الخصوصية:

_**الخصوصية** : أصل كلمة خصوصية من خص الشيء يخص خصا وخصوصا وخصوصية, حيث عرفها *Padinter* "كل ما ليس له علاقة بالحياة العامة أو هي كل ما لا يعتبر من الحياة العامة" (جلاد، 2012-2013).

_ **الخصوصية (في نطاق المعلوماتية)** :الخصوصية بمعنى خصوصية المعلومات": هو حق الأفراد أو المجموعات أو المؤسسات أن يحددوا لأنفسهم، متى وكيف أو إلى أي مدى يمكن للمعلومات الخاصة بهم أن تصل للآخرين". وهي كذلك "حق الفرد في أن يضبط عملية جمع المعلومات الشخصية عنه، وعملية معاملتها آلياً، وحفظها، وتوزيعها، واستخدامها في صنع القرار الخاص به أو المؤثر فيه (المقاطع، 1992). سواء وضعت هذه المعلومات ببنوك المعلومات، فيرى بعضهم أن ليس من الضروري أن تتعلق المعلومة بسرية الحياة الخاصة، فلا ينبغي أن تمس المعلومات بالكرامة الإنسانية، أو بحقوق الإنسان، أو بحياته الشخصية أو العامة، ومن ثم الحق في الدخول إلى هذه المعلومات والحق في الاطلاع عليها، وتصحيحها، إذا كانت غير صحيحة، ومحوها إذا كانت محظورة (دياب، 2010).

يمكن وصف الخصوصية أيضا بأنها "الحرية من القيود غير المعقولة على بناء هوية المرء الخاصة."...أو هي سيطرة الشخص على معلوماته الشخصية (*Sloot*, 2011). هذا إذا ما اعتبرنا أن الهوية الرقمية هي جملة من المعلومات التي تعطي فكرة عن ذات المستخدم كما يخضع تكوينها ونشاطها لتكنولوجيا المعلومات.

## ثانيا: الهوية الافتراضية (فرص ومخاطر الاستخدام)

يتشكل الوجود الافتراضي تدريجيا من خلال إثبات المستخدم حضوره على الخط (أونلاين) ومن خلال عرض تفرد هويته، وتمايزها في الفضاء الافتراضي وحسب نديم منصوري فإن ذلك يتحقق أساسا من خلال ما يلي (بيمون، 2016):

_بروزه كفاعل أو متفاعل أثناء عمليات التواصل عبر الشبكة من خلال المشاركة، والتعليق والتعقيب، وليس مجرد مترقب أو ناقل لمعلومة فحسب.

ـــوتيرة استخدام التواصل المتزامن الفوري وغير المتزامن على الشبكة، ذلك أن طبيعة التواصل عبر الشبكة، تستلزم الردود والاستجابات الفورية على الشبكة، والتي تغير منطق التواصل.

ـــطبيعة الآثار التي يخلفها وراءه على صفحته بعد لحظة التواصل.

ـــ حجم الاطلاع والاستجابة والردود التي تحظى بها صفحته على الشبكة.

ـــ درجة ارتباط المستخدم بهويته الافتراضية من خلال التحديثات التي يجريها على الصفحة، ويتقاسمها مع أصدقاء الصفحة وعلاقة ذلك بممارساته الواقعية.

وتطرق **نديم منصوري** إلى ثنائية الحضور الافتراضي والانقطاع الافتراضي (الأون لاين/الأوف لاين) كحالتين متلازمتين، تعبران عن أشكال التداخل بين المجتمعين الافتراضي والواقعي الذي أضحى أمراً مفروضا، وبخاصة أن الحضور الافتراضي أضحى مرتبطا بالحضور الاجتماعيً ومكملا له، إلى درجة أن بعض العلاقات أضحت تتخذ طابع العلاقات الاجتماعية الافتراضية، وبخاصة مع توافر خدمة الإنترنت على مدار الوقت (بيمون، 2016).

كما يتخذ الوجود الافتراضي في المجتمع الرقمي تمظهرات معينة تتجلى في خصائص الهوية الرقمية، والآثار التي تخلفها أشكال التفاعل والاتصال التي تشكلها وتبنيها، ويمكن القول هنا أن استخدامها يفرض جملة من الخصائص تنطوي كل منها على فرص ومخاطر نذكر منها أن الهوية الرقمية:

ـــ **متطورة** : تتغير الهوية عبر الإنترنت بسبب كونها وسيلة مرئية ذات مستويات صغيرة من الحقيقة خاضعة للوصف، فالهويات الافتراضية هي الشخصية المشاعة لدى مستخدمي الإنترنت، والوصف المادي والقدرة على الارتجال ومن تريد أن تكون (*Kokswijk*, 2008).

يتيح الدخول إلى المجتمعات الافتراضية تحديد الهوية بطريقتين. في البداية يمكن تعيين "سمات" لنفسك. هذه السمات لها علاقة باختيارك للاسم والجنس والعمر وخصائص مثل قصة الشعر، المظهر الجسدي، القوة، الذكاء، وما إلى ذلك. بغض النظر إن كانت تتوافق هذه السمات مع سمات الشخص الذي يجلس أمام الكمبيوتر أم لا. بعد ذلك تبدأ "الكتابة" للآخرين في الغرف الافتراضية، ومن ثم تشارك في عملية مستمرة لبناء هويتك عبر التفاعل الاجتماعي. إذ توفر هذه الغرف فرصة بسيطة للعب بالهويات (والمظاهر الخارجية) وتجربتها. فالشخص الذي يستطيع خلق

هويات مختلفة في غرف مختلفة لا يجعل شخصيته لامركزية فقط ، ولكن يمكن أيضا أن يجعلها تتضاعف بشكل لا نهائي (*Kokswijk*، 2008) .

وبما أنه لا حدود لوجود الغرف الافتراضية، حيث يمكنك إظهار نفسك. فإن منصات الاتصال الإلكترونية وغرف الدردشة تعد من البيئات التجريبية التي يمكنك من خلالها اكتشاف هويتك... فقد أظهر بحث أن الأطفال في غرف الدردشة ينجحون في إظهار هويات عدة بجانب بعضهم البعض (*Kokswijk*، 2008) .

**_امتداد للحقيقة:** عندما يقوم المستخدم بإنشاء هوية، يمكن أن يكون بناء واعيا ، يمكن أن يتطور بشكل لا شعوري خلال فترة من الزمن أو يمكن ببساطة أن يكون انعكاسًا للمستخدم في الحياة الحقيقية (*Kokswijk*، 2008). فقد غيرت الأنترنت من الظروف السابقة لبناء الهوية، لأن البيئات الافتراضية فتحت الباب أمام تجارب الهوية الجديدة. فالدخول في عالم افتراضي حيث الخصائص الحقيقية (المادية والشخصية) ليست واضحة بشكل مباشر للآخرين هي من وجهة نظر نفسية اجتماعية، طريقة للتواصل تنطوي على طرق جديدة للوجود (*Péter*, 2010).

**_اختيارية ومتحكمة:** يمكن للمستخدمين إنشاء هوية مختلفة تمامًا عن ذواتهم الحقيقية بطرق عدة. فيمكنهم اختيار الجنس والعرق والعمر. وكل الخيارات التقليدية في الحياة الحقيقية قابلة للطرق. إذ يولد الشخص الافتراضي بهوية يختارها ويسمى بمحض إرادته، بخلاف الشخص الطبيعي الذي لا خيار له في متى وأين يولد، ولا في انتقاء جنسه أو اسمه الذي سيلازمه مدى الحياة.

كما تجعل الهوية الافتراضية الشخص يختار بيئته بل يمكنه صنع الوسط الذي يناسب مزاجه واهتماماته، حيث لا وجود للضغوط الأسرية المعهودة، ولا للأوامر والنواهي ولا الإكراه الذي يؤثر بصورة ما على تكوين الشخصية حسب ما يراه علماء التحليل النفسي؛ فيقولون مثلا "إن الكذب يتولد من الخوف" وليس هناك ما يخافه الشخص الافتراضي غير انقطاع الكهرباء أوعطل الحاسوب. وليس هناك دافع للكذب. لِكن لمَ يكذب الشخص الافتراضي إذن؟ الجواب ليس بعيدا، فهناك عوامل تجعل الكذب يتسرب إلى المجتمع الافتراضي، منها أن الفرد يطمع في تحقيق إرب ما في واقعه عن طريق اتصاله بسكان العالم الجديد، محاولا استغلال جو الثقة المتبادلة بين أفراد المجموعة الافتراضية التي ينتمي إليها (بلوطي، 2014-2015).

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد01 (2020) * ص133-154

ـــ **تقنية:** الهوية الافتراضية توجب على الشخصية الافتراضية التعامل مع برامج المحادثة الحاسوبية وتطبيقات الشبكة العنكبوتية ومواكبة تطوراتها أولا بأول هذا ما يفرض على الفرد إتقان مهارة تقديم نفسه للأفراد الذين يتفاعلون معه، لأنه لا يمكنهم إدراكه إلا من خلال البيانات التي يقوم بتقديمها لهم على أنها تمثل هويته، وفي الواقع قد تعكس صورته الحقيقة، وغالبا ما تكون مغايرة لها. ففي تجربة قام بها باحثون في كندا، أجاب *5682* شابا على استبيان لدراسة عنوانها "الشبان الكنديون في عالم متصل :"لم يذكر 50%عمرهم الحقيقي, من بينهم 25% ادعوا أن لهم مظهرا أو شخصية مختلفة. وادعى 20% أنهم من جنس مختلف (بلوطي، 2014-2015).

يحدث هذا لأن كل تسجيل عبر الإنترنت وكل "تجسيد افتراضي" هو قرار حر لإنشاء هوية جديدة لا علاقة لها بأي التزامات ذاتية وتوقعات اجتماعية من الماضي. وهو يوفر نقطة انطلاق لمسارات العمل الجديدة والاستراتيجيات الجديدة "لإدارة الهوية" التي تتشكل حصريًا من خلال الدوافع الحالية والفرص والظروف الظرفية. علاوة على ذلك، يمكن تشغيل الهويات عبر الإنترنت وإيقافها دون المرور بمراحل وسيطة (من خلال تسجيل الدخول والخروج)، ويمكن تعديلها في غضون لحظات عن طريق تغيير تسجيل البروفيل *Profile* أو أسماء مستعارة أو خصائص الأفاتار*Avatar* (*Péter*، 2010).

ـــ **قوية:** تمنح الهوية الافتراضية الشخص الإرادة القوية في التعبير عن ذاته. فكل من يتصفح موقعا يبحث فيه عن شيء يشبع رغبة لديه سواء كانت هذه الرغبة في الاستطلاع أو اقتناء شيء ما، أو كسب صداقة، أو نشر خاطرة كتبها، أو الحصول على معرفة. وهو في عملية البحث هذه يحمل صورة عن نفسه يظهرها للآخر المفترض وجوده على الطرف الثاني للخط الواصل بين الباحث والموضوع المبحوث عنه (بلوطي، 2014-2015).

هناك نوعان من الوسائط الأولية على الأنترنت حيث تلعب الهويات الافتراضية دورًا حقيقيًا. الأول هو الدردشة عبر الإنترنت (وسيط نصي)، والثاني هو اللعب عبر الإنترنت (وسيلة مكانية). ونظرًا لأن الألعاب تحتوي على وظيفة دردشة محدودة. فإن الدردشات لها وظيفة عمل محدودة أيضا، وكلاهما يخدم نفس الغرض، وكلاهما يساعد على تحديد الهوية (*Kokswijk*، 2008).

في كتابه حول السياسة الافتراضية. استنتج هولمز "أن الهوية الافتراضية تمكن من ظهور مجتمعات البث(كطريقة للتكامل الاجتماعي) ومجتمعات التفاعل(كنمط للمشاركة الاجتماعية)" (*Kokswijk*، 2008). وهذا مكمن قوة الهوية الافتراضية .

ـ**غفلية** *Anonymity*: قد يرتبط استخدام الهويات الافتراضية في كثير من الأحيان بالرغبة في الحفاظ على إخفاء الهوية للشخص الحقيقي. في حين قد يتم البحث عن عدم الكشف عن الهوية (اسم مستعار) لأهداف مشروعة، أو لأسباب أخرى كثيرة. إذ سجلت الكثير من الأخطار التي قد يتعرض لها الأطفال من خلال تفاعلهم مع البالغين الذين يقدمون شخصية الأشخاص الأصغر سنا في المنتديات مثل غرف الدردشة على الإنترنت بقصد إغراء الضحايا واستدراجهم في الحياة الحقيقية وإساءة المعاملة. كما يمكن استخدام الاتصالات الإلكترونية لتسهيل التخطيط للأعمال الإرهابية والإجرامية باستخدام تقنيات التشفير التي تسهل الحفاظ على سرية المجهول.

وغالبًا ما يمثل "اللقب" المستخدم عادات وخصائص المستخدم عبر الأنترنت. ويتيح الاتصال في أماكن الدردشة للمشاركين التواصل بحرية وفق السلامة النسبية لإخفاء الهوية، وهم ينسون خصوصيتهم. ومن خلال تحليل سلوك المستخدمين. خلص شيدت *Scheidt* إلى أن المراهقات يعلنّ عن حقيقة أنفسهن عن طريق استخدام الأسماء المستعارة التي تفصح عن عمرهن، وأسمائهن الحقيقية، وخصائصهن الذاتية ومن خلال إظهار أصالتهن باستخدام طبعتهن المبتكرة في ألقابهن (*Kokswijk* J. V., 2007).

ـ **إجرائية**: في الوقت الذي يتطرق فيه المصطلح الكلاسيكي للهوية إلى سمات تعريفية ظاهرية، كالاسم وتاريخ الميلاد ومكان الإقامة والتوقيع وبعض الخصائص البيولوجية غير القابلة للتغيير كلون العينين وبصمات الأصابع، نجد أن الهوية الرقمية أكثر ديناميكية وإجرائية. فهي تنتج في البداية عن الآثار الرقمية التي نخلّفها على شبكة الأنترنت: كالبيانات ذات الصلة بقوائم الاتصال والمواقع والسلع الاستهلاكية. ولكنها تتمخض أيضًا عن أسلوبنا وطريقتنا في تجسيد أنفسنا. تستطرد عالمة الاجتماع، **سارة مونكيبيرج**، من جامعة كاسِل ، قائلة: "إننا بصدد إمكانيات جديدة لتكوين وبناء الهوية." "فعمليات التغذية العكسية التي نراها على شبكة الإنترنت، كإبداء الإعجاب بالصور الذاتية (السلفي) على موقع الإنستاجرام *Instagram* على سبيل المثال، من شأنها المساهمة في

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد01 (2020) * ص133-154

بناء الهوية الذاتية والحفاظ عليها. وبالتالي يتسنى اختبار ومقارنة نماذج الهوية المختلفة" (لوبر، 2015).

## ثالثا: الهوية الرقمية وانتهاك الخصوصية

تعتمد الهوية في العصر الحديث بشكل متزايد على الإنترنت، خاصة فيما يتعلق بالمعلومات والمحافل ومواقع الشبكات الاجتماعية والألعاب والتطبيقات التي تقدمها. مما أفرز طلبا متزايدا على حقوق الخصوصية التي تحمي إنشاء الهوية الافتراضية دون عوائق، خاصة مع تزايد عدد الأشخاص الذين يشكلون هويتهم على الأنترنت، وهذا من شأنه أن يحمي بشكل أفضل التطور المستقل وغير المعرقل للهوية الافتراضية في الفضاء السيبراني، فإن الاعتراف بالهويات الافتراضية كأصول مستقلة وتخصيص حقوق الخصوصية الافتراضية يوفر فرصة لتنظيم الفضاء الإلكتروني، بطريقة مبتكرة (*Sloot*، 2011) .

### 1_الحق الافتراضي في الخصوصية:

لا يمكن الاستغناء عن الحق الافتراضي في الخصوصية من أجل تطوير هوية افتراضية. فهناك عدد من الأطراف التي قد تسهم في انتهاك الخصوصية في العالم الافتراضي، إذ يمكن للحكومات الحقيقية والأشخاص الحقيقيين جمع معلومات حول الأشخاص في العالم الافتراضي واستخدامها أو إساءة استخدامها في العالم الحقيقي. بالإضافة إلى ذلك، قد ينتهك مسؤول النظام الرقمي الأساسي خصوصية الصور الرمزية للمستخدمين، ويستطيع المشرفون على المواقع والمنصات الوصول إلى جميع المعلومات التي يتم إنشاؤها ونشرها على المنصة الافتراضية (*Sloot*، 2011).

تحظر انتهاكات الخصوصية المستخدم من تطوير هويته بحرية وبشكل مستقل. وبدون الحق في الخصوصية لا توجد ضمانات للاستقلالية الشخصية للتواجد في العالم الافتراضي. كما لا يمكن حماية خصوصية الهوية الافتراضية حماية كافية من قبل حقوق الخصوصية في العالم الحقيقي، ولا عن طريق تقنيات تعزيز الخصوصية في المنصة الافتراضية. ولذلك، ينبغي منح حق افتراضي للخصوصية في تجسيداتها الجسدية والمكانية والمعلوماتية. من خلال رؤية المجتمع الافتراضي بالقياس إلى المجتمع الحقيقي. إذ يتم إنشاء نموذج قانوني افتراضي على أساس التنظيم بالتماثل... بحيث يسمح قياسا للعالم الحقيقي بتنظيم وافٍ وعادل للفضاء السيبراني (*Sloot*، 2011) .

### 2_جرائم انتهاك خصوصية الهوية الرقمية:

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد 01 (2020) * ص 133-154

بات من السهل الحصول على المعلومات المخزونة بالحاسوب المرتبط بشبكة الإنترنت، كما أنه يمكن تبادل المعلومات بين حاسوب وآخر، لذلك قيل: إن شفافية الإنسان وخصوصيته باتت عارية أمام ما تمخض عنه العلم من إعجاز في عالم الحواسيب (ناصيف، 2009). فلم تعد حجة السرية التي يكفلها النظام الآلي لمعالج البيانات حجة مقنعة، إذ أصبحت حالات اقتحام النظام الآلي مسألة واردة وليست مستحيلة (الجبوري، 2011).

وإذا أضفنا إلى ذلك احتمال الخطأ في عمل الآلة، وصعوبة تصحيح المعلومة، فضلاً عن إمكان تحويرها أصلاً لتضاعف الخطر الذي يهدد حياة الإنسان الخاصة بسبب النظام الآلي لمعالجة المعلومات. فالبيانات الشخصية المتصلة بالحياة الخاصة للفرد أو عائلته غالباً ما يقدمها الشخص بنفسه أو قد تتوصل الهيئات إليها بوسيلة أو بأخرى، وتهديد المساس بالحياة قد يثور إذا أفشيت هذه المعلومات دون رضاء منه، أو نشرت بإحدى طرائق العلانية دون موافقته، سواء أكانت هذه المعلومات على شكل خبر أو تعليق أو صورة؟ وتكون متصلة بأسرار حياته الخاصة أو العائلية ولو كانت صحيحة (الأستاذ، 2013) .

لذلك يعج العالم الرقمي اليوم بصور التعدي على الخصوصية وسرقة الهوية الرقمية، وهي كثيرة ومختلفة اختلاف الامكانيات المتعلقة بالاستخدامات التقنية في الفضاء الرقمي، ونجد منها:

-إدخال معطيات أو معلومات وهمية: إذْ يمكن بهذه الوسيلة أن يستولى المعتدي على بيانات شخصية غالباً ما تتعلق بعناصر الذمة المالية بغية تحقيق أموال لنفسه.

- التجسس الإلكتروني على الحياة الخاصة "مخاطر الفيروسات:" فيروس الحاسوب هو عبارة عن برنامج صغير يزرع بالأقراص والأسطوانات الخاصة بالحاسوب لأهداف تخريبية، مثل تدمير البيانات والمعلومات المخزنة داخل الحاسوب تدميراً كاملاً أو تعديلها (عيسى، 2001). وقد يزرع فايروس بالحاسوب يقصد التطفل على الحياة الخاصة للغير، للوصول إلى معلومات شخصية عنه، واستخدام هذه المعلومات بصورة غير مشروعة (أنطونيوس، 2009). وهناك تهديد آخر للحق في احترام الحياة الخاصة، إذْ يقوم الفايروس بمعالجة المعلومات الاسمية لشخص معين للحصول على معلومات أخرى جديدة، بوسائل متعددة مثل التقريب والمقابلة بين المعلومات، وإعداد الإحصائيات، وإدماج العناصر المختلفة، وربطها ببعضها؛ وبذلك يمكن ترجمة حياة الفرد في ثوانٍ

معدودة، ثم يستخدم المجرم المعلوماتي هذه المعلومات في أغراض غير مشروعة مثل فضح ماضي الفرد وابتزازه.

- سرقة المعلومات الخاصة وتزويرها: تلك المعلومات المتعلقة ببطاقات الائتمان وسرقة كلمة السر أو الاستيلاء عليها، و كلمة السر مثل باب المنزل، ومن يقدم على كسر هذا الباب والدخول إلى قلبه يكون قد ارتكب جريمة يعاقب عليها القانون، فعندما يوجد للنظام المعلوماتي كلمة سر فهذا يعني أنه يجب ألا يتخطى هذا الباب أحد.

وفي حياتنا العامة، قد نضطر للخضوع لعمليات تحقق من قبل سلُطات معينة أو مزودي الخدمات بغرض إثبات هوياتنا (باستخدام بطاقة الأحوال مثلاً) ، أما في العالم الرقمي فتحدث عمليات تحقق مماثلة لكن بوسائل أخرى (كلمة مرور، بطاقة ذكية، رمز التحقق الشخصي، الخ) (الروضان، 2014).

وتعني سرقة الهوية هنا انتحال هوية كيان آخر (شخص آخر مثلاً) بأن يدعي السارق بأنه هو صاحب هذه الهوية، غالباً بهدف الوصول إلى معلومات أو خدمات معينة أو الحصول على مكاسب ومميزات خاصة بصاحب الهوية الشرعي. في حال تمت ممارسة أي عمل غير قانوني بهوية منتحلة. فإن صاحب الهوية الشرعي سيتحمل تبعات ذلك لاحقاً.

و تتأتى سرقة الهوية الرقمية غالباً بثلاثة طرق:

_بالحصول على وسائل التحقق *Security Credential* من الهوية الرقمية (ككلمة المرور أو الهاتف الجوال مثلاً).

_بمعرفة كافة الخصائص والصفات والمعلومات الخاصة بالهوية المسروقة المسجلة في النظام الرقمي (مثلاً: رقم الهاتف أو الرقم الجامعي أو عنوان البريد، الخ).

_انتحال الهوية خارج النظام الرقمي للتسجيل في النظام الرقمي قبل صاحب الهوية الشرعي.

تعد الطريقة الأولى الأكثر شيوعاً، ويمكن تحقيقها من خلال وسائل تطفل كثيرة مثلاً: الاصطياد (*Phishing*) الاستزراع (*Pharming*)، الهندسة الاجتماعية (*Social Engineering*) (الروضان، 2014). ويعتبر سارق الهوية الرقمية تلقائيا من النظام الرقمي (الحاسوبي) حاملاً لكل الصفات والخصائص المسجلة للهوية.

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد01 (2020) * ص133-154

- التزوير المعلوماتي: عن طريق التسلل الإلكتروني إلى البيانات، إذْ يقوم القراصنة بمحاولة الدخول إلى النظام للوصول إلى هذه المعلومات التي تكون غالباً سرية، وتجري عملية الدخول إلى النظام المعلوماتي عن طريق خرق هذه المنافذ والوصول إلى قاعدة البيانات، وتعديلها أو إضافة المعلومات المغلوطة بها بهدف الاستفادة غير المشروعة من تلك البيانات (عرب، 2009).

## 3ـــ وسائل حماية الخصوصية في مجال المعلوماتية:

إن حماية الخصوصية في البيئة الرقمية عملية وليست إجراء، بمعنى أنها تنطلق من رؤية محددة المعالم واضحة الأهداف وتكون مخرجاتها حزمة من الوسائل والإجراءات في ميادين التقنية والقانون وإدارة النظم التقنية بوصفها عملية تكاملية (عرب، 2009)؛ لذلك سوف نعرض لهذه الوسائل تباعا لإدراك أن الاقتصار على إحداها غير كافٍ لحماية البيانات الشخصية الخاصة، وإنَّما لابد من وجود مرتكزات واستراتيجيات لحماية خصوصية المعلومات في البيئة الرقمية.

**أ ـــ وسائل حماية الخصوصية خارج الإطار التشريعي:** نقصد بحماية الخصوصية خارج إطار التشريع: الوسائل الفنية والتقنية والتنظيمية التي يمكن اللجوء إليها لحماية الحياة الخاصة، وخصوصية البيانات إلى جانب وجود التشريعات الجزائية التي تجرم انتهاك حرمة الحياة الخاصة بشكلها التقليدي واللاتقليدي المتمثل بالانتهاك المعلوماتي أو الالكتروني لها، وتصنف إلى:

ـــ وسائل حماية الخصوصية التقنية: لجأت كثير من الدول إلى صور متعددة لحماية الحياة الخاصة للأفراد في نظام معالجة المعلومات آلياً، ومن ذلك ضرورة إخضاع هذه النظم الآلية لإشراف الدولة، ومن ذلك أيضاً حظر تخزين معلومات معينة عن الأفراد، وإخضاع ما يجوز تخزينه لضوابط معينة، ومنها أيضاً تمكين صاحب الشأن من الاطلاع على المعلومات الخاصة به للتأكد من سلامتها ولتصحيح ما قد يكون بها من أخطاء (الأستاذ، 2013). ولعل أهم هذه الوسائل هي التشفير أو تقنيات التشفير المصنفة في مقدمة الوسائل والأدوات المبتكرة في مجال توفير أمن وسلامة وسرية المعلومات والمعاملات والصفقات في شبكة الإنترنت (أنطونيوس، 2009)، ومن التعريفات التي أوردها الفقه أن التشفير أو الترميز: هو آلية يتم بمقتضاها ترجمة معلومة مفهومة إلى معلومة غير مفهومة، عبر تطبيق بروتوكولات سرية قابلة للانعكاس أي يمكن إرجاعها إلى حالتها الأصلية. أما التقنية الأخرى فهي تقنية الغفلية فكما هو معلوم شبكة الإنترنت تشكو نقصاً فادحاً في مستوى الأمن الفعلي فيها، لذلك تؤلف عنصر تهديد أساسي لمفهوم الحياة الشخصية، وبشكل

خاص حق مستخدم الشبكة بأن تحترم سرية الاتصالات والمبادلات التي يجريها بواسطة هذه الشبكة، مما دفع إلى ابتكار تقنيات متطورة تؤمن لمستخدمي شبكة الإنترنت اتصالهم بصورة مغفلة ومستترة، وذلك من خلال استخدام معدات يطلق عليها تسمية أجهزة معاودة الإرسال بشكل مغفل (أنطونيوس، 2009).

وكثيرة هي التطبيقات على شبكة الإنترنت، مثل المداخلات والحوارات التي تجري داخل المنتديات والمجموعات الإخبارية المخصصة لطرح موضوعات معينة طبية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية إذْ تبقى المداخلات والحوارات فيها موثقة ومحفوظة بحيث يمكن لمن يشاء، وبعملية بسيطة العثور على أسماء أصحاب الرسائل المرسلة وعناوينهم منذ عدة شهور فقد يرغب الشخص أن يبقى مغفلاً أو مستتراً، ففي مثل هذه الحالات تكون للغفلية منافع وإيجابيات تصب في خانة حماية الحياة الخاصة للأفراد، ولكن للغفلية مظاهر سلبية إذا أسيئ استعمالها إذْ أنَّها تسهل النشاطات الإجرامية وغير الشرعية على شبكة الإنترنت، كأن تستخدم الغفلية في التشهير والقدح والذم أو تفشي الإباحية، إذْ يجد مرتكبو الجرائم أنفسهم مع الغفلية مدفوعين بشعور انعدام المراقبة (أنطونيوس، 2009). لذلك تطرح شركات حماية خصوصية المعلومات والأنظمة أحدث تطبيقات جدران الحماية، وبرامج مكافحة فيروسات الحاسوب، والبريد الإلكتروني التطفلي وتطبيقات الحماية ضد محاولات اختراقات الأنظمة المعلوماتية (عرب، 2009).

ـ وسائل حماية الخصوصية التنظيمية( التنظيم الذاتي):هي الأعراف والقواعد السلوكية المتكونة ضمن القطاعات المهنية والتجارية المختلفة، في معرض مزاولة نشاطاتها عبر الشبكة، إذْ نجد المتهنين أو أرباب العمل في داخل مهنة معينة يتبعون أحياناً قواعد سلوكية ذاتية تحكم علاقاتهم المهنية وتنظمها. ويرى كثيرون أن في طرح التنظيم الذاتي لشبكة الإنترنت حلاً مثالياً وآلية مبتكرة في تنظيم استخدام هذه الشبكة. عقود نقل البيانات التي كان لغرفة التجارة الدولية، ومجلس أوروبا دور متقدم في وضع نماذج لها من أجل تسهيل استخدامها في عمليات نقل البيانات ومنها البيانات الخاصة بالأفراد، وفي الوقت نفسه لضمان الالتزام بقواعد الحماية (أنطونيوس، 2009).

**ب ـ وسائل حماية الخصوصية في الإطار التشريعي (الحماية الدستورية):**

حرصت الدول كلها على اختلاف أنظمتها القانونية والاجتماعية والاقتصادية على صيانة الحياة الخاصة لكل مواطن من مواطنيها، وذلك بالنص في صلب دستورها على كفالة هذه الحماية

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد01 (2020) * ص133-154

(كامل، 2007). ومن أمثلة ذلك الدستور الإيطالي الذي نص في المادة 15منه على أن حرية وسرية الرسالة أو أي شكل للاتصالات مصونة لا تنتهك ولا يجوز تقييدها. وكذلك حظر التعديل الرابع للدستور الأمريكي الاعتداء أو الشروع في الاعتداء على حرمة الحياة الخاصة للمواطن، وكذلك معظم الدساتير الغربية والعربية مثل الدستور الأردني المادة 18 والسعودي المادة 40 والمصري المادة 45 والكويتي المادة، 39 أما الدستور السوري لعام 1973 فقد نصت المادة 31منه على أن "المساكن مصونة ولا يجوز دخولها أو تفتيشها إلا في الأحوال المبينة في القانون. أما المادة 54 فنصت على أن "كل اعتداء على الحرية الشخصية، أو على حرمة الحياة الخاصة، أو على غيرها من الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الدستور والقانون جريمة، ولا تسقط الدعوى الجزائية ولا المدنية الناشئة عنها بالتقادم (الأستاذ، 2013)".

## رابعا: تحديات التواجد الهوياتي في البيئة الرقمية

إن الهوية مكون أساس من مكونات الذاتية الإنسانية، ومن مكونات تجربتنا باعتبارنا أطرافًا فاعلين وواعين في العالم. لذلك، ليس مستغربًا أن تتضمن المقاربات التي عُنيت بالحياة في المجتمع الشبكي أقوالا عن إعادة توجه الخبرة الإنسانية في شأن الهوية مقترنة بالتغيرات الحاصلة في النظام التقاني والاقتصادي والسياسي البشري.

وهذا ما يشير إليه **أنتوني غدنز** عندما وصف الوضع المعاصر بـ "النظام ما بعد التقليدي" حيث "تصبح الذات مشروعا انعكاسيا مرنًا". إذ شهد سكان الغرب المعاصر احتجابًا تدريجيا للكثير من مصادر المعنى والهوية التقليدية، بما في ذلك السنن الدينية والأخلاقية، والثقافات القومية المتجانسة، والأواصر العائلية المستقرة الممتدة على أجيال متعاقبة، والمسيرات المهنية الطويلة المدى القابلة للتوقع، بل حتى الاستقرار في منطقة جغرافية ما مدة طويلة. وتلاشت أهمية مصادر المعنى والهوية التقليدية في المجتمعات الغربية الرأسمالية المعاصرة، فاسحة المجال للناس كي يبنوا هويتهم بطريقة انعكاسية، بدلا من قبول الهويات القائمة بطريقة سلبية. وكانت الأسئلة في ما سبق، على غرار "من نحن؟" اختصاصا حصريًا للشعراء والفلاسفة ورجال الدين. أما الآن فإن الأفراد في المجتمعات المعاصرة يعيشون على وقع سؤال "من أنا؟"، في "اختياراتهم أسلوب الحياة" يوميا (بارني، 2004).

ومع كل ما تبرزه تحولات الخبرة الإنسانية في استخدام التكنولوجيا الرقمية و تأثيراتها، وما تقدمه الأبحاث العلمية المتعددة التخصصات، والرؤى والطروحات الفلسفية، فإن التواجد الهوياتي في البيئة الرقمية يجابه تأكيدا مجموعة من التحديات يمكن أن نسلط عليها الضوء فيما يلي:

**ـ من تغير نمط الحياة إلى تغير الذات:**

ترى **توركل** أن "الحواسيب لا تغير حياتنا فحسب، بل تغير ذواتنا أيضا". من خلال مدنا بالأدوات الجديدة التي تكفل البناء الاجتماعي لذواتنا، على نحو موجه صوب الذات. فعلى شبكة الأنترنت، كما تقول توركل، "تُبنى الذات، وتُبنى قواعد التفاعل الاجتماعي، ولا تُتَلقى تلقيا؛ فأن نستخدم شبكة الإنترنت يعني أن "نبتدع ذواتنا على نحو متواصل... فأنت ما تزعم أنّك عليه... وهويتك على الحاسوب هي محصلة حضورك المشتت... ذلك أن هويتك شديدة السيولة والتعدد إلى الدرجة التي تجعل مفهوم الهوية ذا حدود فضفاضة". وبالفعل، وخلافًا لما كانت عليه الهوية من ثبات وفردية وموثوقية، فإن الهوية على الأنترنت، كما تراها توركل، متعددة وقابلة للاصطناع والمراجعة مرارا وتكرارا. ولممارسات الذات التي تتم بوساطة الشبكات "طابع مختلف ومتعدد ومتغاير ومتشظ... ارتبطت الأفكار القديمة عن الهوية بمفهوم الأصالة، لكن التجارب الافتراضية ما فتئت تخرب ذلك أيما تخريب... لم يجر إسقاط مركزية الذات فحسب، بل تعددت الذات وانفرطت حدودها أيضا". وبالنسبة إلى أولئك الذين انغمسوا في تقانات المجتمع الشبكي، فإن السؤال المطروح، في ما يتعلق بالهوية، ليس "من أنا ؟( Who am I ?) ، بل "من ذواتي؟ Who am we ?) (بارني، 2004).

**ـ اللامكانية وتلاشي الجسد :**

تتوافق الكثير من السمات التقنية لبيئات الوسائط الشبكية مع الهوية ما بعد الحداثية وهو الموقف الذي تتبناه **توركل**. وأولى هذه السمات هي الطابع اللامكاني لشبكات الاتصالات التي تقلّص النطاق الجغرافي ليصبح عاملا حاسما في تحديد الهوية، على الأقل بالنسبة إلى أولئك العالميون (الكوسموبوليتانيون) الذين يُوفّر لهم الاتصال وسيلة للفرار الافتراضي من المحلية. ففي البيئة الافتراضية حيث الإنسان مجرد رمز"@"، يُصبح للأماكن التي يمكنه "الذهاب" إليها، والأشياء التي يمكنه "الحصول" عليها، أهمية بالغة في علاقته بتحديد الهوية، تتجاوز أهمية "المكان" الذي يوجد فيه حينها أو"المكان" الذي يتحدر منه. ثانيا، إن الاتصال الشبكي غير مجسد، ولا

يتطلب حضورا مشتركا للتفاعل الروتيني بين الأشخاص. وكأن الجسد البشري قد مثّل تقليديًا أساسا ثابتًا نسبيا ومستقرا لتحديد الهوية، لكن الواسطة التي تمكن من قيام الاتصال من دون وجود الأجساد معا في الزمان والمكان قللت من أهميته باعتباره سمة ملازمة للهوية في التفاعل الاجتماعي. وتكتسب مسألة عدم حضور الجسد أهمية كبرى، باقترانها بالعتامة التي تتسم بها الاتصالات الرقمية؛ إذ لا تسمح الشبكات في معظمها للمتخاطبين بأن يرى بعضهم بعضا، الأمر الذي يقلل من دور المظهر الخارجي والسلوك في رسم ملامح الهوية، خلافًا لما كان سائدا سابقا؛ ذلك أن محددات الهوية، مثل الجنس ولون البشرة وشكل الجسم والسن واللباس، لا يمكن إدراكها ما لم يتطوع الآخر بكشفها، حتى حينها لا يمكن الوثوق بما يخبره لنا الآخرون من معلومات.

يمكن أن يسمح غياب المكان والتجسد إضافة إلى العتامة في الاتصال الشبكي بقدر فائق من السرية والمرونة في البناء الاجتماعي لذواتنا، وتجسيد المقاربة لما بعد حداثية للهوية؛ ففي العالم الافتراضي يصبح بمقدور الأفراد أن يبنوا هوياتهم وفق مشيئتهم، بدلا من أن يقرر عنهم الآخرون كنه ذواتهم، بناء على سمات منحازة، مثل المكان والجسم والصفات الفيزيقية (بارني، 2004).

**_التعدد الهوياتي:**

ولاحظ **كاميرون بايلي** أن "التقابلات الثنائية بين الأنا/الآخر، والأبيض/الأسود، والذكر/الأنثى والكاتب/ القارئ، ستندثر في عالم الخطاب الإلكتروني البعيد من اليقين أشد البعد. فالرسائل تأتي وتروح من دون وجه، والحوارات تتم من دون أن تُرى أطراف الحوار... وفي العالم الافتراضي، يختار الناس هوياتهم، ويتلاعبون بها، ويشوهونها أو يبرزونها بوصفها بناء... حيث لا يمكن الثقة بأي معلَم من المعالم المعتادة". وإلى جانب ذلك، يمكن للناس أن يختاروا أكثر من هوية، وأن يراجعوا هوياتهم المتعددة بيسر، ويضمنوا أن "ذاتهم" لم تعد رهينة تاريخهم إلا بقدر ما هي رهينة اسمهم أو جسدهم أو غير ذلك. وفي إطار هذه البنية، ما عادت الذات أو الهوية أمرا تتوسطه الشبكة فحسب، بل باتت الهوية ذاتها تكتسب سمات الشبكة (نظام من العقد التي تربطها وصلات مختلفة القوة والعمر) تُمارس الهوية عبرها، ولا تكون مجرد وجود قبلي.

في هذا الصدد يعتبر الكثير من الملاحظين أن هذه الوضعية "تقدمية"، ما دامت الشبكات الرقمية قد استخدمت كأداة تحرير من الأحكام المسبقة والقمع والحيف التي ميزت مجموعات الهويات التي وجدت في حقبتي ما قبل الحداثة والحداثة. وليست الهوية، في المجتمع الشبكي، شيئًا

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد 01 (2020) * ص133-154

نتلقاه فـ "يطبع" أو "يُجوهر" التصنيفات الاعتباطية المتعلقة بالأصل الإثني–العرقي، والموقع الجغرافي والجسد المجنس؛ إذ أصبح بمقدور الأفراد أن يسيطروا تقانيا على شروط تمثّلهم لذواتهم/هويتهم. وهكذا، يُقدم الفضاء الافتراضي باعتباره يحرر البشر من هوياتهم التي خصوا بها تاريخيا، جراء الإقصاء والتهميش وحالات السيطرة والإخضاع. وجرت البرهنة على ما تنطوي عليه البيئة الشبكية من طاقة تحررية بالنسبة إلى النساء والأقليات العرقية، والمثليين. ويصبح لغياب المكان والجسد وحضور الاتصال المعتم، في البيئات الشبكية، دور بالغ في تمكين النساء وأصحاب البشرة السمراء والمثليين من ممارسة هوياتهم كما يشاؤون، بدلا من أن يسند لهم الآخرون هويات لا تخدم مصالحهم أو تقض مضاجعهم. ورأى بعض المعلقين أن مساهمة الشبكات في تحرير الهوية ومواقع الذات جعل من الفضاء العام أكثر تعددية وديمقراطية وإدناء (بارني، 2004).

ولكن، أيؤدي الانتقال السلس بين الهويات الإلكترونية في نهاية الأمر إلى اعتبار الهوية الواقعية مجرد هوية أخرى متاحة في مستودع نماذج الأنا المختلفة؟. في مقاله الذي صدر في مايو 2015 بصحيفة **فرانكفورتر ألجيماينه تسايتونج** ذكر **كلاوس تيفيلايت**، الباحث في الشؤون الثقافية، أننا ننتهج وضعية "تغيير الحالات" منذ فترة طويلة في واقع الأمر. وأن الهويات الرقمية الجديدة ستعمل على استمرار هذا الاتجاه، ليس إلا. أما مفهوم الذات الحقيقية الثابتة، فيعد من اختراعات الرواية الحديثة منذ أواخر القرن الـ 19، تلك التي صمّمت هيكلًا للأنا البرجوازية، اتخذه **زيجموند فرويد** فيما بعد نموذجًا للأنا في إطار التحليل النفسي (لوبر، 2015).

**ـــبين الغفلية والسيطرة:**

وتعليقا على"الترويج للغفلية التي تتيح بناء الهوية على نحو مرن وسري ومتعدد"، تعبر **ميشال ويلسن** عن قلقها من أن "يتسبب تفكيك الذات والطابع الزائل لعملية التواصل الإلكتروني، في فصل الفرد عن الفعل المادي، وإبعاده عن الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والشخصية عن الآخرين ". كما أشار آخرون إلى أن غياب الجسد يسلب الاتصال شروط الخطر التي تسبغ عليه معنى وتمنحه جوهرا وتشجع على اعتدال التأكيد العدمي على الإرادة الشخصية دون حدود (بارني، 2004).

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد 01 (2020) * ص 133-154

وربما ينجح أولئك الذين يبحثون عن أداء هويات بديلة من الهويات التي أسندت إليهم في العالم الحقيقي، في الاستمرار في تقمص تلك الهويات على منصة الإنترنت. إلا أن معظم الناس يدخلون العالم الافتراضي حاملين هويات مكتملة وليسوا ساعين إلى إيجاد هويات جديدة. والشيء نفسه بالنسبة إلى التركيز على الغفلية في التعاملات الافتراضية؛ إذ يمكن أن يعمي على نقطة مهمة تتعلق بالهوية في سياق الاتصال بوساطة الإنترنت. وفي هذا الصدد يذكرنا المتخصصون في قضايا الرقابة والخصوصية بأن الغفلية المطلقة أمر مستحيل التحقق (ذلك أن الانخراط في المجتمع الشبكي يعني بالضرورة أن تكون هويتك محددة، وأن تكون مراقَبا ومصنفا باستمرار . وبناء عليه، يمكن التأكيد أن التقانات الرقمية يمكن أن تمثّل وضعا يكون فيه الناس أقل سيطرة على هوياتهم من ذي قبل (بارني، 2004).

**_الكيان السيبراني المتفرد**

غالبا ما تبدأ رحلتك إلى الفضاء الإلكتروني كفرد أمام شاشة الكمبيوتر، حيث يمكنك مواجهة تفردك قبل بناء شعور الآخرين في العالم الإلكتروني. في حين تعمل شاشة الكمبيوتر الخاصة بك كنافذة إلى منزلك الثاني ويمكنك بسباطة الاتصال بالفضاء السيبيراني عن طريق تسجيل الدخول عن طريق إدخال اسمك الفردي عبر الأنترنت وكلمة المرور السرية الشخصية. ثم تتم مكافأتك بمنزلك الصغير في الفضاء السيبراني، والذي يتكون عادةً من عناصر مثل البريد الإلكتروني الخاص بك وقائمة بواباتك ومواقع الويب المفضلة لديك. يقضي الجميع تقريبًا أول لحظة لهم في الفضاء الإلكتروني في الأماكن الفردية.

عندما تنتقل من منزلك الصغير إلى مساحات افتراضية أخرى، عادة ما ينطوي ذلك على لحظات أخرى من التعريف الذاتي، على سبيل المثال، في اختيار اسم إلكتروني لدخول غرفة دردشة، أو في اختيار وصف ذاتي في موقع ملف التعريف، أو في تحديد السيرة الذاتية في بيئة المواعدة. لا تحدث تجربة تسجيل الدخول عند الدخول إلى عالم الإنترنت فقط. مثل عبور الحدود وإظهار جواز السفر الخاص بك، بل يتم تكرار ذلك عند إدخال الاسم وكلمة المرور مرارا وتكرارا عبر الفضاء الإلكتروني (بارني، 2004).

## خاتمـة

مادامت التكنولوجيا الرقمية تتغلغل في ثنايا حياتنا، ومادامت جل نشاطاتنا المعهودة تدار في فضاء افتراضي، فإننا بشكل أو بآخر عرضة لتحولات جذرية تطال ذواتنا وهوياتنا، تفردنا وجمعتنا وحدتنا وعلاقاتنا، فلم يعد أي شيء مما سبق ذكره كما كان في السابق، وبما أن التفاعل يشكل السمة الرئيسية للفضاء السيبيراني الذي يمكن من خلاله بناء إحساس جديد بالذات والسيطرة. فإن نتيجة اختبار حواس الذات الجديدة هي "الشعور الجديد بالوجود". الذي هو نتيجة لتأثيرات تصميم التكنولوجيا ولما يحدث فعلا في البيئات التواصلية الافتراضية.

"يقول **شتيفان هومر**، الباحث في علم الاجتماع في مجال الإنترنت: أن"...النظرية القائلة بأن الرقمنة قد طغت علينا تمامًا وقيدت مجال التفاعل المتاح أمامنا، لم تكن سوى حجة رخيصة في معظم الأحيان". وأكد **هومر** أن من يسعى حقًا إلى الخوض في الفرص والمخاطر الكامنة في الرقمنة، سيتسنى له أيضًا تبني نهج ملائم لإدارة الهوية. ويرى **هومر** أيضا "أن إدارة الهوية تعني في المقام الأول التصدي للأدوار الجديدة التي تواجه مستخدمي شبكة الإنترنت. يقول في هذا الصدد: "الهوية الافتراضية أصبحت جزءًا من هويتنا منذ فترة طويلة. لم تعد شيئًا يمكننا أو يتعين علينا أن نحمي أنفسنا منه. ولكن ينبغي لنا أن نستوعبها بنفس الأسلوب الذي يتعين علينا اتباعه من أجل استيعاب أنماط السلوك التناظرية." بقدر صعوبة تلك المهمة، إلا أنه ليس لدينا اختيار آخر عدا مواجهة الأمر" (لوبر، 2015).

ويتطرق الصحفي والمدون الألماني، **إينُو بارك**، إلى النقاش من وجهة نظر مختلفة. فعلى الرغم من كافة المخاطر الواردة، إلا أنه يرى أن الفرص التي توفرها الرقمنة ستتمخض عن مفهوم جديد للهوية يتمتع بقدر أكبر من المرونة. ويقول **بارك**: " إن الرقمنة هي التي أوضحت الطبيعة المتناقضة لهويتنا وحقيقة انحرافنا جميعًا عن المعايير القياسية بطريقة أو بأخرى، وإن هذا الوضوح شرط أساسي لنصبح جزءًا من مجتمع متسامح، يتسنى لنا فيه الانفتاح والتصرف على طبيعتنا دون الاختباء في الحيز الخاص " (لوبر، 2015). فما عاد علينا إعلان الحروب على التقنية والتفكير في مواجهتها، التي تعني في هذه الحالة- الهوية الرقمية- مواجهة الذات بقدر ما يتوجب استغلال إمكاناتها للتكيف وتكوين أنماط للتعايش والصمود في البيئة الرقمية تماما كما الحقيقية.

مجلة التغير الاجتماعي * ISSN 2507-7473 * المجلد 04 العدد01 (2020) * ص133-154

# قائمة المراجع:


1. بولين أنطونيوس، الحماية القانونية للحياة الشخصية في مجال المعلوماتية، (لبنان: منشورات الحلبي الحقوقية، المحرر) 2009)؛
2. دارن بارني، المجتمع الشبكي. (أنور الجمعاوي، المترجمون) الدوحة، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2004)؛
3. ريحانة بلوطي، دوافع استخدام الهوية الافتراضية في الشبكات الإجتماعية واثرها على الفرد -دراسة استكشافية لعينة من مستخدمي الفايسبوك أنموذجا-، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر،2014-2015)؛
4. سليم جلاد، الحق في الخصوصية بين الضمانات والظوابط، مذكرة ماجستير، وهران، (الجزائر: جامعة وهران،2012-2013)؛
5. سليم عبد الله الجبوري، الحماية القانونية لمعلومات شبكة الإنترنت، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية،2011)؛
6. سوزان عدنان الأستاذ، انتهاك حرمة الحياة الخاصة عبر الأنترنت- دراسة مقارنة-، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد03، الصفحات، 2013؛
7. شادي ناصيف، فضائح الفيس بوك أشهر موقع استخباراتي على شبكة الإنترنت،(سورية: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، 2009)؛
8. صلاح محمد أحمد دياب، الحماية القانونية للحياة الخاصة للعامل وضماناتها في ظل الوسائل التكنولوجية الحديثة. القاهرة-، مصر: دار الكتب القانونية،2010)؛
9. طوني عيسى، التنظيم القانوني لشبكة الإنترنت- دراسة مقارنة في ضوء القوانين الوضعية والاتفاقيات الدولية- (لبنان: منشورات الحلبي الحقوقية،2001)؛
10. عبد الله حسين متولي، إشكالية الهوية داخل الحياة الثانية وانعكاساتها على ما تقدمه المكتبات التخيلية من خدمات للمستفيدين، دار الكتب و الوثائق القومية، مؤتمر الإتحاد العربي للمكتبات والمعلومات العشرون بالدار البيضاء، 12/ 2011؛
11. علي محمد رحومة، الانترنت و المنظومة التكنواجتماعية، المجلد 53، مركز دراسات الوحدة العربية،2008؛
12. فتوح الشاذلي و عفيفي كامل، جرائم الحاسوب وحقوق المؤلف -المصنفات الفنية-، (لبنان: منشورات الحلبي الحقوقية،2007)؛
13. كلاوس لوبر، الهوية الرقمية -ثورة للذات- تم الاسترداد من معهد جوته الثقافي الألماني بمصر https://www.goethe.de/ins/eg/ar/kul/mag/20640532.html
14. كلثوم بمهون الياقات الثقافية الموجهة للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي، من التداول الإفتراضي إلى الممارسة الواقعية. إضافات33-44، الصفحات 69-84، شتاء-ربيع , 2016؛
15. محمد إبراهيم عيد، الهوية والقلق والإبداع،( القاهرة: دار القاهرة للنشر،2002)؛

16. محمد عبد المحسن المقاطع، حماية الحياة الخاصة للأفراد وضماناتها في مواجهة الحاسوب الآلي، (الكويت: جامعة الكويت، 1992)؛
17. مسعودة بايوسف، الهوية الإفتراضية -الخصائص والأبعاد-، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي ، الهوية والمجالات الإجتماعة في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، 2011/02 ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة؛
18. وليد أحمد الروضان الهوية الرقمية -إدارتها وسرقتها- (السعودية: مركز دراسات الجرائم المعلوماتية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2014)؛
19. يونس عرب، استراتيجيات و تقنيات الحماية من أنشطة الاعتداء على خصوصية المعلومات، تاريخ الاسترداد 2018/01/23،

http://www.arablaw.org/Download/Privacy_TechnicalStrategy_Article.doc

**المراجع الأجنبية:**

1. Bart Van Der Sloot. (2011). **virtual identity and virtual privacy"towards a concept of regulation by analogy. تم الاسترداد من** https:// www.ivir.nl/ publicaties/ download/ eGov _prasenz_2011_1.pdf
2. Jacob Van Kokswijk. (2007). **Digital Ego: Social and Legal Aspects of Virtual Identity.** www. eburon.nl Eburon Acadimic Publishers 10 من تاريخ الاسترداد (المحرر من)، 2018 ,2https://books.google.dz/books?
3. Jacob van Kokswijk. (02 04, 2008). **Granting Personality to a Virtual Identity. (International Journal of Human and Social Sciences**، ,03 تاريخ الاسترداد (المحرر من )، 2018 General Course Information of Koç University : https:// ais.ku.edu. tr/course .
4. Nagy Péter. (2010). **Second Life, Second Choice? The effects of virtual identity on consumer behavior"** A conceptual framework". (Tavaszmezı u.Budapest,Hungary Obuda University Keleti Faculty of Business and Managementمن، 2018 ,03، تاريخ الاسترداد 15 ، Proceedings of FIKUSZ 10Symposium for Young Researchers: https://kgk.uni-obuda.hu/sites/default /files/pnagy. pdf.